الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني والنتائج المترتبة عليها
من 27 ق.م - 235 م.

أ ـ آمال سعيد محمد الشوشان ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

استطاعت روما منذ نشأتها عام 753 ق.م أن تحدد ملامح مملكتها ,ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى بشتى الطرق إلى إثبات قوتها وتثبيت مكانها في بادئ الأمر بين المدن الإيطالية ثم بين حواضر العالم القديم ,وبالفعل قد نجحت في ذلك الأمر لتوفر عدة عوامل أهمها القوة العسكرية ,هذا وقد أجمع العديد من الباحثين والمؤرخين على أن الأمجاد والبطولات التي وصلت إليها روما كانت بسبب جيوشها التي لولاها لما تمكن الرومان من بسط نفوذهم السياسي على معظم دويلات العالم القديم , وقد رافق رحلة الكفاح الذي شهدته روما مراحل من تطور الجيش الذي بدأ كما سبق ذكره سنه 753 ق.م وحتى سقوطها عام 476 م ,غير أن الجيش الذي كان رمزا لقوة روما وهيبتها كان سببا في ضعفها ثم انهيارها فيما بعد بسبب مبالغة بعض الأباطرة في تدليلهم بمنحهم العطايا والهبات ,وأصبح القادة العسكريون يتدخلون في شؤون الإمبراطورية بتولية وعزل الأباطرة , فما كان على الإمبراطور سوى تقديم كل ما يكفل له البقاء على كرسي الحكم .

واستنادا إلى ما سبق ذكره فإن البحث يوضح أبرز الامتيازات التي تحصل عليها الجيش الروماني في فتره الحكم الإمبراطوري أي منذ تولى الإمبراطور أغسطس للحكم 27ق.م حتى نهاية الأسرة السفيرية 235م.

أما **الإشكالية** التي طرحها البحث فقد تركزت في عدة تساؤلات وهي :

- كيف نشأ الجيش الروماني وتطور ؟
- ما أبرز الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني في عهد اغسطس ، وحتى نهاية عهد الأسرة السفرية 218 ؟
- ماهي النتائج المترتبة عن منح تلك الامتيازات ؟ وهل كانت نعمة أو نقمة على الإمبراطورية الرومانية ؟

الهدف من البحث :

إن الهدف الذي يكمن من وراء هذه البحث توضيح طبيعة العلاقة التي أنشئت بين الإمبراطور والجيش ,وكيف أثرت هذه العلاقة في مصير روما ؟,مع ضرورة التنويه عن خلفية هذه الامتيازات ,وكيف أنها كانت سلاحا ذا حدين رفعت من قيمة روما في العهد القديم ؟ وكيف حطت بها إلى الحضيض.؟

منهجية البحث :

أما المنهج المتبع في هذا البحث فكان المنهج السردي التاريخي الذي تم توظيفه في المنهج التحليلي , القائم على تحليل ، وتفسير الحقائق التاريخية بما يتماشى ، ووفق متطلبات البحث العلمي التاريخي , حيث تم الاعتماد على مجموعة من المصادر الكلاسيكية والمراجع الأجنبية والمعربة ، والعربية , وقد ركزت على المصدر الكلاسيكي . Dio,Cassius ,Histore ,Romaine الذي تناول الأحداث التي مرت على الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين , وقد اعتمدت كتاب دراسات في تاريخ الرومان لحسن الشيخ , لأنه من أكثر الكتب التي اهتمت بتناول فترة الامتيازات وتدخل القادة العسكريين في مصير روما,كما ركزت الباحثة على سلسة من المراجع المهمة التي أشارت ولو بالشيء اليسير لمرحلة تدخل الجيش والقادة العسكريين في مستقبل روما .

محاور البحث :

وفي ضوء ما تقدم فقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة : تناول الأول منها مراحل نشأة الجيش وتطوره ، والمحور الثاني : تناول أبرز الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني منذ عهد الإمبراطور أغسطس27ق.م وحتى نهاية عهد الأسرة السفيرية 218م , أما المحور الثالث : فقد ركز على أهم النتائج التي ترتبت عنها الامتيازات سواء كانت هذه الامتيازات في صالح روما أو ضدها , وفي النهاية أرفقت البحث بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها جراء تناولي لموضوع الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني في العصر الإمبراطوري حتى نهاية الأسرة السفيرية 218م ,كما احتوى البحث على قائمة لأهم المصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية التي استعنت بها لكي يظهر البحث بصورة جيدة .

المحور الأول ـ نشأة الجيش الروماني وتطوره :

بعد أن انقضت مرحلة الجمهورية وأصبحت روما إمبراطورية مترامية الأطراف في عهد أكتافيانوس (أغسطس) ازدادت متطلبات الحماية والدفاع عن روما إلى قيام جيش منظم ليضمن السلام داخل وخارج الإمبراطورية , فلا يمكن أن تنعم روما بالهدوء إلا بتوفر جيش قوي يحميها ويفرض النظام فيها , وكان لابد من أن يجازى هذا الجيش بمنحه العطايا والأجور (1) . عمل أغسطس على التمهيد لإنشاء إصلاحات كبرى تشمل جميع نواحي الحياة ,فقد أغدق على المواطنين بالهبات والعطايا,وشرع في تشييد العديد من المباني العامة , وأنشأ الطرق ليطمئن الناس بان الأمور في روما قد عادت لطبيعتها قبل الحروب الأهلية ,بالإضافة لما قام به أغسطس فقد حرص على ضرورة أن يكون الجيش تحت قيادة حكيمة في يد القائد الأعلى المحصورة في شخصه هو, فأصبح يلقب بقائد جيش قيصر (أغسطس ابن الإله) (2) .

استفاد أغسطس من الحلول التي أوجدها أسلافه والتي تبين أهمية ولاء الجيش ، فكان عليه إما أن يدخل الجيش تحت نفوذ السيناتو ويتحتم على القائد مباشرة مهامه على أنه موظف عادي من موظفي الدولة الرومانية , وكان هذا من الحلول التي قدمها سولا و بومبي, وإما الحال الثاني يكون الجيش تحت قيادة موظف يتم اختياره من قبل الشعب الروماني ,بذلك يحول دون تدخل مجلس السيناتو في شؤونه,وهذا ما وقع اختيار أغسطس عليه ووجد ضالته فيه , لكي يبعد الجيش عن سطوة مجلس السيناتو(3), أصبحت مهمة الجيش في عهد أغسطس المحافظة على الأقاليم والدفاع عن حدود الإمبراطورية ,وقد أبقى أغسطس على الفرق الرومانية كنواة للجيش الروماني , ووضع ضوابط للخدمة في الجيش من حيث الراتب ,والتقاعد , ومدة الخدمة في الجيش ,وقد أوجد فرقة جديدة تمثلت في الحرس الإمبراطوري (البريتوري), كما أوجد أيضا القوات الاحتياطية التي تشكلت من أبناء الأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية (4) .

بلغت الإمبراطورية الرومانية أقصى اتساع لها في عهد الإمبراطور هدريان 117 -128 م فأصبحت حدودها تمتد من الشمال عند السور الذي أنشأه الإمبراطور في بريطانيا وعرف باسمه ,وقد وصل السور ليكون حدا نهائية بين بريطانيا الرومانية واسكتلنده ,ثم تمتد الحدود الشمالية من البحر الشمالي حتى البحر الأسود , أما النفوذ السياسي للإمبراطورية فيشمل كل آسيا الصغرى والشريط الممتد على السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ,ليشمل الشام ومصر ,وشمال إفريقيا بالكامل (5) .

المحور الثاني ـ الامتيازات الممنوحة للجيش منذ 27 ق.م وحتى 235 م :

مما سبق ذكره في المحور الأول لوحظ ابتعاد أغسطس عن إخضاع الجيش لسلطة السيناتو ,وقد بقي هو القائد الأعلى للجيش الذي يأتمر بأمره الجنود ,على أن يلتزم القائد في تحقيق جميع سبل الراحة لجيشه ويعمل على تنفيذ مطالبهم ورغباتهم ويسعى إلى تدليلهم بمنحهم بعض الامتيازات هذا وألا يصبح من حق الجنود نظريا استبدال القائد أو قتله ,عند فقد الثقة فيه وفي عدم قدرته على تحقيق أمنياتهم أو عجزه عن توفيه التزاماته نحوهم (6) . اتخذ أغسطس عدة إجراءات كان من شأنها أن تحول بقدر مستطاع دون أن يكون الجيش معاديا له ,أو مصدر قلق له من الناحية السياسية ,فمن بين أهم الإجراءات التي قام بها أنه جعل مقر الأوراط في إيطاليا (7),بل وجعلها في حدود الدولة الرومانية و مشارفها ولم يبق في إيطاليا سوى عدد قليل من الجند هم الحرس البريتوري المكلف لحمايته ,وكان الأوراط تتألف من أحرار روما وحدهم ,يأتمرون بأمر ضباط ينتمون إلى أحرار الرومان ,دون سواهم ,أي من السناتو والفرسان, أما القوات المساعدة التي كانت تأتي من الولايات التابعة للإمبراطورية فهي من الدرجة الثانية فلا تعتبر من الفرق النظامية بل الحليفة يقوم بالإشراف عليها ضباط رومان ,كما لايفوتنا الإشارة إلى الأسطول البحري الذي يتألف من المواطنين الرومان الأحرار ممن ينتمون إلى الطبقات الدنيا(8) .

وكانت أهم الامتيازات الممنوحة للجيش الروماني ما يلي :

أولا ـ الامتيازات الممنوحة في عهد الإمبراطور أغسطس 27 ق.م - 14 ق.م :

من بين أبرز الامتيازات التي منحها الإمبراطور أغسطس أن ضباط الصف الذين لم يدركهم حظ الترقي في سلك الجندية كان أمامهم إذا كانت سيرتهم حسنة أن يبقوا في الجيش نظير أجور أعلى أو يلتحقوا بإحدى الوظائف المدنية ,بوصفهم مندوبين عن شخص الإمبراطور , وكان الجندي في عهد أغسطس على ثقة من منحه قطعة أرض كمكافأة له على نهاية الخدمة ,ويمنح أيضا هبات طيبة من المال تكفيه لإقامة السكن اللازم له ولأسرته ,وهذا كان يشجع الناس حتى ممن كان ذا مكانة رفيعة من الانخراط في صفوف الجيش (9) .

وقد سعى أغسطس إلى تقديم امتياز آخر للجنود وهو منح حق المواطنة الرومانية للأشخاص الذين ينتمون إلى الولايات التابعة لروما ,وهذا أسهم في دخول أعداد كبيرة من الأفراد التابعين للولايات إلى صفوف الجيش الروماني ,وكان هذا الإجراء ملحا خاصة بعد اتساع رقعة الإمبراطورية ,فأصبحت الحاجة تستدعي استقطاب أكبر عدد ممكن من الجنود ,وكان أغسطس يشترط في منح حق المواطنة عدة شروط منها : أن يكون المتقدم للخدمة العسكرية صالحا ويثبت أهليته وكفاءته وقدرته على أن يصبح رومانيا ,كما اشترط القدرة على استيعاب اللغة اللاتينية ,كتابة وحديثا ,ويظهر في بعض الأحيان أن الذين نالوا شرف المواطنة أجدر وأكفأ من الإيطاليين أنفسهم ,والسبب في ذلك رغبتهم في الرفع من مستواهم الاجتماعي , وقد أثبتت الجيوش في عهد أغسطس جدارتها وقوتها لهذا استحقت أن تمنح بعض الامتيازات ,ولأن أمن واستقرار البلاد قد وقع على عاتقهم ,ومن الجدير ذكره أن الامتيازات متفاوتة بحسب المجهود الذي يبذله الجندي(10) , وقد منح الجندي امتيازا آخر متمثلا في ازدياد راتبه التقاعدي بعد الانتهاء من الخدمة (11)

عمد الإمبراطور عام 13 ق.م على إرضاء جنوده بإدخال نظام المكافأة المالية بدلا من منح الجندي المسرح قطعة أرض معينة ,وكان الحرس البريتوري يتسلم ثلاثة ألاف دينار روماني مكافأة له (12) .

ثانيا ـ الامتيازات الممنوحة للجيش في عهد خلفاء أغسطس من14 ق.م -193م. :

بعد موت أغسطس تولى الحكم في روما بعده أربعة أباطرة من أسرته عرفوا في كتب التاريخ بالكلاوديين نسبة إلى يوليوس قيصر, وقد حكموا فيما بين عام 14ق.م إلى68م تبدأ بحكم تبريوس , وكاليجولا ,وكلاوديوس ونيرون ,ولم تحدث في فترة توليهم الحكم أية مشاكل أو خلافات حزبية ,ذلك أن أغسطس قد أرسى قبل وفاته قواعد لإمبراطوريته وعمد على تأسيس نظام تولي العرش (13).

أما أبرز الامتيازات الممنوحة في هذه الفترة كانت بزيادة العطايا ,والهبات , من قبل الإمبراطور تبريوس 14 ق.م- 38 ق.م,وذلك لتجديد ولاء الجند له في المناطق الحدودية في بانونيا وجرمانيا (14) ,أما في عهد كلاوديوس 41 ق.م- 54ق.م, فقد سعى إلى تحفيز جنده بقيامه بعدة أعمال أهمها بناء الطرق والكباري ليسهل على الجند سرعة الانتقال من مكان إلى آخر,وقد حاز بهذه الأعمال على رضا أنصاره

من جنود , ومن بعد كلاوديوس تولى نيرون54 ق.م-68 ق.م, الحكم غير انه لم تشهد فترة حكمه أية أمجاد عسكرية كما لا توجد أعمال بارزة له فيما يخص تدليله للجنود , فبعد موت نيرون دخلت الإمبراطورية في فترة الحروب الأهلية (15) و كانت هذه الحروب قد بدأت منذ عهد الإمبراطور غالبا وإلى الإمبراطور فيتاليوس أي فيما بين عام 68- 69م, لهذا كانت البلاد في حالة من الفوضى العارمة ,بعد هذه الفترة بدأت الإمبراطورية تحاول أن تنتعش من جديد منذ تولي الإمبراطور فيسبسيان , وقد عرفت هذه المرحلة بفترة حكم الأسرة الفلافية من 69 -138 م ,لا نستطيع أن ننكر محاولات بعض الأباطرة من توفير ما يلزم توفيره من مقومات لضمان راحة الجيش وضمان ولائه ,وقد بدأ هذا الأمر واضحا من عهد الأباطرة المصلحين الذي يبدأ من عهد الإمبراطور دوميتيانوس81-96م إلى عهد الإمبراطور هادريان117- 138م ,وقد تمتعت الإمبراطورية في هذه المرحلة بالسلام والراحة حتى عرف في المصادر الكلاسيكية بالعصر الذهبي الذي انعكست فيه مظاهر الاستقرار على جميع نواحي الحياة في روما والولايات التابعة لها فلم تشهد هذه الفترة أية مشاكل لا على الصعيد الداخلي ولا على الصعيد الخارجي(16),ومن أبرز امتيازات هذه الفترة قيام الإمبراطور دومتيانوس بتوجيه اهتمامه إلى الجيش وعمل على إرضائهم فاهتم بتنظيم وسائل الإمدادات العسكرية بالإضافة إلى إجزاء العطايا بزيادتها بثلاثة أضعافها ,حيث أنشأ قيادة لشؤون الجند المغتربين castra peegrin orum لتتولى الإشراف على تجهيز القوات المسافرة (17)

أما في عهد الإمبراطور تراجان 98-117م فقد قام الإمبراطور بمنح أراضي زراعية للجنود المسرحين في إيطاليا لاستصلاح أراضيها والانتفاع بها ,ولم تشهد فترة حكم هادريان 117 -138 أيه مشاكل لأنه سعي بشتى الطرق إلى تحقيق الوئام والسلام وقد ضرب بيد من حديد لكل من يحاول المساس بهيبة الإمبراطورية (18).

وبفضل القيادة الحكيمة لهؤلاء الأباطرة ظلت الإمبراطورية الرومانية تنعم بالسلام والوئام.

وبعد انقضاء هذه المرحلة بدأت المشاكل تتعب كاهل الإمبراطورية من جديد خاصة منذ فترة حكم الأسرة الأنطونية نسبة للإمبراطور أنطونيوس بيوس138 -161م (19), فلم تكن هناك أية امتيازات ذات أهمية مرجوة.

ثالثاـ الامتيازات الممنوحة للجيش في عهد الأسرة السفيرية 193م - 235 م :

بعد الحروب الأهلية الطويلة التي أعقبت وفاة الإمبراطور كومودس180م -192م,والتي كانت بمثابة عوامل التخريب والهدم بحد ذاتها وفي النتائج التي أسفرت عنها ,والتي انتهت بفوز سبتيموس سفيروس ذي الأصول الفينيقية بحكم روما 193 بعد حروب دامية مع خصومه من القادة العسكريين منهم القائد نيجر القائم على إقليم سوريا ,والقائد البينيوس القائم على إقليم بريطانيا ,وكان سبتيموس سفيروس قائما على إقليم بانونيا (20), وكان من طبقة الفرسان تمكن من أن يصبح الإمبراطور الأوحد لروما,وقد تولى أية

عرش روما في 48 من عمره ,يرجع الفضل في معرفة تفاصيل الأحداث في عهد سبتيموس سفيروس للمؤرخ ديو كاسيوس Dio,Cassius ,الذي استطاع أن يغطي هذه المرحلة من حياة الإمبراطورية الرومانية بشيء من التفصيل , وقد أشار ديو كاسيوس إلى أن سبتيموس كان يدين لجنوده بالانتصارات التي وصل إليها كما يدين لهم على وصوله لعرش روما ,وكان يتحتم على سبتيموس سفيروس أن يحافظ على ولاء جنده له بشتى الطرق ,وكان هذا الأمر بمثابة الهدف الأسمى الذي يسعى إلى تحقيقه ليضمن مستقبله,وقد وصف كاسيوس سبتيموس بالدهاء وذكر أنه كان مميزا من بين القادة العسكريين في تلك المرحلة التاريخية , (21) .

وقد كانت فترة حكم الإمبراطور سبتيموس فترة مهمة فقد كانت نقطة تحول في مصير الإمبراطورية حيث ذهب فريق من الباحثين إلى القول أن عهد سبتيموس سفيروس كان قد صبغ الإمبراطورية بصبغة بربرية ,ويرى فريق أخر ان سيتيموس كان قائدا وحاكما محبا لوطنه بلا تعصب , كان يتوق إلى نشر الثقافة ومنح امتيازات عامة لتعم أرجاء الولايات التابعة للإمبراطورية الرومانية(22) .عند هذه الفقرة استوقفت عبارة صبغ الإمبراطورية بصبغة بربرية ,وهنا طرأ عليها سؤال لماذا قام سبتيموس سفيروس بهذا العمل ؟ هل لأصوله الفينيقية علاقة بالأمر أو انه توجد أسباب أخري ؟ تكمن الإجابة عن السؤال من وجهة نظر الباحثة أن سبتيموس كان يدين بالعرفان للجيش البربري الذي قام بدعمه ومساندته في حروبه ضد خصميه القائد نيجر والقائد البنيوس في الحروب الأهلية بالإضافة لدعمهم له في حروبه مع الفرثيون في طيسفون.(23) .

وكانت أولى الأعمال التي قام بها الإمبراطور سفيروس هو حل الحرس البريتوري القديم والذي كان يتالف من الفصائل المشكلة في إيطاليا ,وأحل محلة حرسا جديدا يسمح للجنود العاديين للانضمام لهذا المنصب ,وقد اختارهم من صفوة جنود الأقاليم (24).

بالغ سبتيموس كثيرا في تدليل جنوده وحرص كل الحرص على تقديم كل الامتيازات اللازمة له لذا بدأ في العمل على زيادة رواتبهم وقدم المنح المتكررة ,وقد منح في عام 197م زيادة في الرواتب بما يزيد عن 50% على الرواتب الأساسية التي كانت تدفع منذ عهد الإمبراطور دومتيانوس,وبهذا قدر الراتب بحوالي 450 دينايوس, وقد وجدت عدة شواهد على القبور كان قد نقش عليها بعض العبارات الدالة على قيام سبتيموس بمنح مزايا لجنوده ,وكان منها منح بعض الأراضي في حدود الإمبراطورية وكانت هذه الأراضي منحا دائمة للجندي ولأسرته من بعده ,وقد اعتبر المؤرخون أن ما كان يقدمه سبتيموس سفيروس لجنوده لا يتعدى كونه رشوة ليضمن ولاءهم له(25) .

وقد منح سفيروس امتيازات أخرى للجند تمثلت في منح امتياز الزواج ,الذي كان ممنوعا في عهد أغسطس وكان الجندي يقيم مع امرأة في غير إطار الزواج وكان ينجب حتى الأبناء منها غير أن هؤلاء الأبناء غير الشرعيين لا يتمتعون بحق المواطنة ولا يمكنهم أن يرثوا والدهم لأنهم غير شرعيين, غير أن

سبتيموس قد ألغى هذا القرار ومنح حق الزواج للجند ,وأذن للقوات المعسكرة على الحدود بامتلاك قطعة أرض , ليعيش كل جندي مع أسرته ,وفي موطنه ,ولا يأتي إلى الثكنة إلا من أجل التمارين القتالية (26).

بعد وفاة الإمبراطور سفيروس ترك عرش روما لأبنيه كراكلا ,وجيتا , وقد كان جيتا محبوبا من قبل الجند وكان مقربا منهم ,قام كراكلا بقتل أخيه جيتا لكي لا ينافسه على كرسي العرش , , ولكي لا يثور الجند على كاراكلا211 م- 217 م, قام بمنح العطايا والهدايا لهم, وكان دائما يتباهى بما يقدمه من عطايا للجند وقد قال في إحدى المناسبات (لا يجب أن يملك المال احد غيري لأقدمه لكم) وفي موضع آخر لامته أمه على إسرافه ومبالغته في منح المال, رد عليها قائلا وهو يشير لسيفه (المال لن يضيع بعيدا طالما لدينا هذا),وقد سار كراكلا على نهج والده تجاه الجيش , وزاد رواتبهم بمقدار النصف على الرغم من أن المؤرخ هيروديان قد أشار إلى أن الزيادة التي قام بدفعها كراكلا لم تكن إلا للحرس البريتوري فقط ,وخلاف ذلك أكد ديوكيسيوس أن الزيادة قد شملت كل القوات ,كما أنه قام بإجراء لم يقم به أحد غيره على الإطلاق وكان هذا الأمر بمثابة بداية لحدوث المشاكل داخل وخارج الإمبراطورية ,وهو قيامه بمنح حق المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية سنة212م(27).

بعد موت كراكلا استمر خلفاؤه في تقديم المنح للجند غير أن ملامح الضعف والفوضى باتت واضحة أشد الوضوح في هذه المرحلة وبات مصير الإمبراطورية في يد قادة الجيش حتى انتهت فترة حكم الأسرة السيفيرية 235 م(28) .

المحور الثالث ـ النتائج المترتبة عن منح الامتيازات للجيش :

ترى الباحثة أن نتائج الامتيازات قد تباينت بين ما هو جيد وبين ما كانت عواقبها وخيمة على روما , فبالحديث عن ايجابيات الامتيازات لوحظ أن الإمبراطورية قد عاشت فترة من السلام الروماني ,بعد أن أرسى الإمبراطور أغسطس قواعد الدولة ,ولم يخطأ في بداية الأمر في متربعة على عرش القوه وبالفعل أثبت الجيش أنه قد استحق أن تمنح له امتيازات خاصة به ,لأن هذا الجيش قد قاد روما نحو المجد و العزة ,وقد كان ولاء الجند مربوطا بشخص أغسطس الذي لم يدخر جهدا في تقديم كل ما يكفل لهم سبل الراحة, وقد انعكس هذا الأمر على الحياة الرومانية بصفة عامة , وكان نتائجه واضحة في فترة حكم خلفاؤه حتى أن هذه الفترة عرفت بالعصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية .

وقد بدأت معالم الترف والراحة تختفي شيئا فاشيئا من الإمبراطورية ,بعد أن ازدادت أطماع الجند وأصبح من الصعب إغلاق الأفواه المفتوحة أمام كل ما كان يقدم لهم من عطايا وهدايا ومنح ,وكانت الشرارة الأولى لبداية تدهور الإمبراطورية عندما بدأ القادة العسكريون في التدخل في شؤون العرش, فيعزلون ويقتلون كل من لم يرق لهم أو كل من يتجرأ في الوقوف في وجه طموحاتهم (29) .و بدا هذا الأمر واضحا منذ القرن الأول عندما قامت جيوش الولايات بتنصيب الإمبراطور تبيريوس على الحكم .أما عن من خلف تبيريوس في الحكم فقد عين أغلبهم من قبل أفراد الحرس البريتوري,على الرغم من أن

من الناحية القانونية كان يتحتم على مجلس السيناتو تعيين الأباطرة وفي حقيقة الأمر كانت قيادة خلفاء أغسطس منطوية على الطغيان العسكري باتت معالم الاستهتار والتسيب من قبل الجيش واضحة منذ نهاية عهد الإمبراطور انطونيوس بيروس 138 -160 م لأنه أهمل الجيش وتراخى فيما يخص الأمور العسكرية, ومما تسبب في الفتور الروحي للجيش فأصبح همه الوحيد الحصول على المال والعطايا ,ومن نتائج ذلك ايضا أن الصراعات قد اشتدت بين القادة العسكريين لمحاولة كل قائد عسكري في الإستئثار بالعرش (30), وكنموذج على تلك الصراعات ما مر ذكره في السابق حول صراع سبتيموس سفيروس والقائدين العسكريين نيجر ,والبينيوس حيث انتهى الصراع بفوز سفيروس .

ومن نتائج السلبية للامتيازات أن العجز الاقتصادي بدا واضحا تمام الوضوح منذ عهد الإمبراطور سبتيموس سفيروس وخلفائه عندما بالغ في منح الهدايا والهبات ,فتسبب هذا الأمر في عجز ميزانية الدولة عن دفع ما عليها من مستحقات (31) , وقد نصح سفيروس وهو على فراش الموت ابنه على أن يعمل على إرضاء الجيش دون سواهم إذا ما أراد البقاء على عرش روما , كما أن المغالاة في منح المكافآت من قبل كراكلا كانت له نتائج خطيرة على الصعيد السياسي , حيث أصبحت سلطة مجلس السيناتو مقيدة ,وأصبح أعضاء المجلس يحملون داخل صدورهم مشاعر الحقد والكره للإمبراطور(32) .ومما زاد الأمر سوءا إصدار كراكلا لقرار منح حق المواطنة لجميع رعايا الإمبراطورية في 212م , وكان هذا القرار بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير,لأنه منذ صدور هذا القرار أصبح من الصعب كبح جماح الجنود ,وازدادت مطامعهم ,و ازدادت شهوتهم تجاه المال (33).

الخاتمة :

من خلال ما سبق توصلت الباحثة إلى النتائج التالية :

- في العهد الملكي كان جيش روما عبارة عن جيش بسيط يتكون من المواطنين الرومان الأحرار , الذين تركوا مزارعهم وأراضيهم للدفاع عن روما في وقت الأزمات, ثم طور الجيش في العهد الجمهوري ,ليصبح أكثر ثباتا ونظاما مما كان عليه في السابق,وقد كان المواطنون الرومان على قدر واف من المسؤولية بحيث أحسنوا الدفاع عن روما ,كما تمكنوا من إحكام سيطرتهم على المدن الإيطالية الأخرى .
- بعد استقرار الأوضاع داخل روما بدأت طموحات ساساتها تتطلع نحو السيادة الخارجية,وقد تحقق هذا الأمر بفضل القيادة الحكيمة التي إرتبطت بشخص إكتافيوس (أغسطس) وبفضل جيشها الذي أحسن توجيهه وقيادته ,وبعد ان تمكن الرومان من بسط نفوذهم على أجزاء من العالم القديم بدأت الحاجة إلى أعداد بشرية جديدة للتطوع في الخدمة العسكرية,فمن هذا المنطلق انطلقت

مبادرات أغسطس في منح امتيازات ومغريات لاستقطاب أعداد من المتطوعين هذا أولا ,وثانيا ليضمن ولاء هؤلاء له هو فقط .

- خص أغسطس كامل رعايته للجيش وأجزل لهم العطاء بمنح المال والرتب العسكرية والهدايا ,ومنح قطع من الأراضي وقد استحق الجيش هذه المكافئآت لما بدله من مجهودات في سبيل الدفاع عن روما .
- لا نستطيع انكار المجهودات التي بدلها الجيش الروماني في سبيل فرض سلطان روما على العالم القديم ,ولكنه لقى عدة انتقادات بسبب تبدل روح الوطنية التي كان يتمتع بيها الجندي الروماني ,والتي كانت تهدف لتخليد اسم روما في التاريخ ليصبح هدف الجندي ليتحصل على المال والمكافآت.
- اصبح القادة العسكريون يجزلون العطاء لمن يدينون لهم بالولاء ,ويقتلون من يخالفهم,وباتوا يتحكمون حتى في مصير الإمبراطور نفسه,فإما أن ينصاع لأوامرهم ,وإما يعزل عن عرشه ويقتل .
- بدأت بوادر الضعف تنهش في كيان الإمبراطورية الرومانية منذ نهاية القرن الثاني ,وبداية القرن الثالث الميلادي,خاصة في فترة حكم آل سيفيروس ,الذي بالغ أباطرتها ونخص منهم بالذكر الإمبراطور سبتيموس سيفيروس,وابنه كراكلا ,بمغالاتهم في منح للامتيازات للجيش .
- مما زاد في انتقادات حول شخصية الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس هو اعتماده على الجيوش البربرية دون الرومان ,ويمكن أن نرجع سبب قيامه بهذا لأمر لأصوله الفينيقية , أو كرد للعرفان لأن هذا الجيش هو من دعمه في حروبه عندما كان قائدا للجيش ,وأن هذا الجيش هو من اوصله لكرسي العرش ,اما عن ابنه كراكلا فكان صاحب الانتقاد الأعلى بقيامه بمنح حق المواطنة الرومانية لجميع رعايا الولايات التابعة لروما .
- يكاد يجمع المؤرخون على أن من اوصل روما للهلاك هو سيبتيموس سيفيروس وابنه كراكلا ؛ لأن قراراتهم قد اسهمت في تدخل القادة العسكريين في مصير الإمبراطورية.
- ان الوضع السياسي , والعسكري لروما قد انعكس سلبا على الوضع الاقتصادي فيها , فكثرة الامتيازات التي منحت للجيش قد اتعبت خزينة الدولة وبالتالي أثر هذا العجز في الوضع الاقتصادي مما دفع جباة الضرائب في فرض ضرائب قاسية على المواطنين ,وقد دفع هذا الأمر لترك العديد من الفلاحين لأراضيهم الزراعية لعدم القدرة على دفع ما عليهم من مستحقات.

هوامش البحث :

(1) م رستو فتزف ,تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي,ت ،زكي علي,محمد سليم سالم ,ج1,مكتبة النهضة المصرية ,1957م,ص72, 73.

(2) مصطفى عبادي ,الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية ,دار المعرفة الجامعية,1999م,ص 84, بديع العمر ,الجيش الروماني البري في الفترة الامبراطورية من31ق.م -284 م,رسالة ماجستير في التاريخ القديم ,جامعة دمشق,كلية الاداب والعلوم الإنسانية,2010,ص56 ,57 .

(3) م رستو فتزف ,المرجع السابق,ص 73, 74.

(4) TACITUS,THE,ANNAIS,Translated,withIntoduction,and Notes,by.A.J.W ooDMAN,R,2004,pp357 , 356

(5) MICHAEL,simkis, THE ROMAN,ARMY FROM HADRIAN to CONSTANTIN,PP55, 65

(6) A Compnion,to THE ROMAN ARMY,EDIIED,BY PAUL,ERDKAP,EDITED,BY,2007,P84.

(7) باترك لورو,الإمبراطورية الرومانية ,ت جورج كتورة ,دار الكتاب الجديد المتحدة,2008,بيروت ,ص 48 , 49 ,تيف ليف ,تاريخ روما العتيقة,تاريخ صراع المستضعفين على اقسام السلطة والثروة بالعدل ,الكتاب الاول,عهد الملكية إلى حين سقوطها ونشأة الجمهورية مابين 753ق.م,509 ق.م,ت :المصطفى جميمو, hmim ost@gmail, ص66 ,67 .

(8) محمود محمد الحويري, رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية,ط 3 , دار المعارف ,القاهرة ,1995 م ,ص11 .

(9) أحمد غانم حافظ ,الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار,تقديم حسين أحمد الشيخ ,دار المعرفة الجامعية ,2007 ,ص49.

(10) Paul erdkamp,Acompanion,TO,THE ROMAN ARMY,biackwll,publishing ,U.S.A,2007,P77.

(11) عاصم احمد حسين ,دراسات في تاريخ الامبراطورية الرومانية, دار المعرفة الجامعية ,ص99 .

(12) أحمد غانم حافظ ,مرجع سابق ,ص50 ,

(13) حسن الشيخ ,دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان ,دار المعرفة الجامعية,2002,ص124 .

(14) ACOOK, LITT.D,F,B,A,ADCOK,THE cambidge ANCIENT ,HISTORY ,VOL.X,THE AUGUSTA EMPIRE,44B .C.-A.P.70 ,Ctmbridge,1934,Britain,pp631 ,637

(15) ACOOK,LITT,OP-CIT,P677-679.

(16) أحمد غانم حافظ,مرجع سابق ,ص64 .

(17) المرجع نفسه ,ص 64-65 .

(18) حسن الشيخ ,مرجع سابق,ص 133.

(19) المرجع نفسه ,ص66.

(20) ميثم عبد الكاضم جواد النوري ,حملات الأباطرة تراجان,ماركوس أورليوس,سبتيموس سيفيروس,مجلة الاستاذ, ملحق العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثالث,لسنة 2015,جامعة بغداد ,كلية الآداب,ص197.

(21) ديوكيسيوس ,التاريخ الروماني ,الكتب LXXXI-LXXX, ت مصطفى عطيس, ط : ألطوبريس للطباعة والنشر,ص 338.

(22) المصدر نفسه ,ص340 ANTNONY R.BIRLEY, SEPITMIUS & SEVERUS,THE AFRICAN EMPEROR , londoin and new , ,1999 york . p90

(23) ANTNONY, R.BIRLEY OP-CIT, P100

(24) BRIAN,Campbell,the ROMAN ARMY,A Source ,book,London,rst Publiued,1994,p69,70.

(25) حسن الشيخ ,مرجع سابق , ص133 , MICHEL,George,THE ROMAN FAMILY IN THEEMPIRE ROME,itly and beyond ,oxford, british ,library ,2004 ,pp312,314

(26) ديوكيسيوس ,مصدر سابق ,ص ص339 ,441. &MICHEL,OP-CIT P315

(27) حسن الشيخ ,مرجع سابق,ص132,

(28) موسيكو ,تأملات في التاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط ,ت:عبد الله العروي ,ط :المركز الثقافي العربي,دار البيضاء,1748هـ ,ص152.

(29) ديوكيسيوس ,مصدر سابق ,441.

(30) حسن الشيخ ,مرجع سابق,ص132.

(31) دياكوف.س.كوفاكيف ,الحضارات القديمة ,ج2,ت :نسيم واكيم الياجزي, مشورات دار علاء الدين ,ط1 ,ب ت,ص 680,685 .

(32) تسعديت رمضان ,الإصلاحات السفيرية في بلاد المغرب القديم ,193-235 م ,رسالة ماجستير في التاريخ القديم ,1990,ص186-187.

(33) حسن الشيخ ,مرجع سابق ,ص 133 .